# حبة فستق... واحدة

على الدرج يكاد يعدو، يصعد درجتين درجتين، وهو يحمل كيس الفستق الحلبي، نصف كيلو من الفستق الحلبي، دفع ثمنه مئة ليرة، هو في أول موسمه، ربما هذه أول مرة ينزل فيها إلى السوق في هذا الموسم، ولكن لا شيء يغلو بالنسبة إليها، سيقعدان في الشرفة، يطلان على حلب، والقلعة تشمخ في وسطها، والبيوت تحيط بها كالكواكب، القلعة مضاءة كالذهب، سيقشر لها حبات الفستق بنفسه، سيضع برؤوس أصابعه الحبة الحمراء الناعمة بين شفتيها، يتحسس الدفء واللدونة، سيضع الحبة الوردية بين أسنانها اللؤلؤية، ستقضم إصبعه، سيعدّان مائدة صغيرة: قليل من الزيت والزعتر، صحن من الجبنة المشلَّلة، قليل من المأمونية التي بقيت من فطور الصباح، سيعدّ المائدة بنفسه، آه، لا بد من صحن صغير فيه المخلَّل، سيقسم بنفسه قطع مخلل القثاء، وفي صحن آخر بضع حبات من الزيتون وفوقها دبس الرمان والكمُّون والزيت، أي عشاء هذا، لو اشترى حزمة بقدونس لأعد مع قليل من البرغل في دقائق صحن تبُّولة، ولكن لا بأس، لابد أن يكون في الثلاجة

صحن صغير فيه بقية من مجدّرة الأرز، وفوقها قليل من البصل المقلي، سيطلُّ عليهما القمر من وراء القلعة، لتتألق تحت ضوئه الفضي زهرات الياسمين في العريشة الصغيرة التي تملأ فضاء الشرفة، هي شرفة ضيقة في شقة صغيرة، لكن موقعها جميل، يكفي أنها بجوار جامع الرشيد في شارع الإذاعة، حيث تطل من تلك الهضبة على حلب كلها، كما أطل عليها ذات يوم من الطائرة، فرآها كلها، تجلّت له كليلة القدر، فازداد لها عشقاً، لا شك أن سيف الدولة كان يطل من هذه الهضبة على مروج حلب وجنائنها، وإلى جواره أبو فراس الحمداني، وهو إلى جواره شريكة العمر، هي من أحب وهي من اختار، لابد أن تكون قد قطفت بضع زهرات من عريشة الياسمين، ووضعتها في كأس، سيلتقط الزهرات البيضاء الناعمة ويزين بها شعرها، سيصنع لها بنفسه عقد ياسمين يزين به صدرها، وعلى حافة الشرفة سيضع المسجل، ويشدو لهما صباح فخري: «أنا وحبيبي في جنينة، والورد خيَّم علينا»، هي جنينة المنزل، لا أجمل منها ولا أحلى، هي الدفء والأمان، والنسمات الصيفية تترقرق كجدول شفاف، والبدر يزيده صفاء، حبات الفستق على الأغصان في الكرم تتشقق في ضوء القمر، تتفتح، تضحك، والحب في ضوء القمر يتفتح، لا ينسى حين خرج مع أبيه إلى الكرم وهو طفل، ليلة جميلة أمضاها في الكرم مع

أعمامه وأولاد عمه، وعناقيد الفستق أثقلت الأغصان حتى تدلت نحو الأرض، لونها الوردي شهي، هي حقيقة تتشقق، إذا كان قلب الراهب المتزمت العنيد قد تفتح للحب تحت ضوء القمر كما في قصة دي موباسان، فكيف لا يتفتح قلب الفستق ويتشقق، بل إنه يتفتح، ومع حفيف الأغصان تسمع له طقطقات ناعمة، مثل دغدغات في خصر أهيف، وهي في المطبخ، تعدّ الشاي، سيفاجئها من وراء، يدغدغ خاصرتيها، ثم يضمها إليه،هي تفضل سماع ميادة حناوي تشدو بساعة زمن، «هي ساعة زمن، عشنا فيها زمن، هو وأنا»، سيستمعان إلى ميادة، ثم إلى صباح فخري، نغمات القدود والموشحات تسري في العروق تمازج الدم تتغلغل إلى الأعماق، ترتعش له الأوصال، هذه فستقة ناعمة مثل أناملك الناعمة، هذه حبة أخرى ناعمة مثل فمك الصغير الململم، وهذه..وهذه..سيطعمها الحبات حبة حبة، أصدقاؤه الآن بدأت سهرتهم في المقهى على الرصيف قبالة القلعة بجوار خان الشونة، القلعة تطل عليهم بأبراجها الشامخة مثل جدة عجوز، والنسمات تداعبهم، والنادل يطوف عليهم بالنراجيل والقهوة المرة، وسيقدم لهم من غير شك أطباق الفستق الحلبي، ولكنه ملَّ السهر معهم، أيام العزوبية انتهت، هنا الزوجة والشقة والشرفة، وغداً الأولاد، لا شك أن النسمات هنا ليست كالنسمات هناك، فالفضاء هناك

على الرصيف إلى جوار القلعة أرحب، ولكنه هنا أكثر حناناً، هل يعقل أن يتركها تسهر وحدها؟، لم يمر على زواجهما سوى ثلاثة أشهر، شهر العسل سيدوم العمر كله، لن يأخذه منها الأصدقاء، ويبلغ الطابق الخامس، يقف هنيهة، يلتقط أنفاسه، يجب ألا يدخل وهو يلهث، يخرج من الكيس حبة فستق، ينزع عنها قشرتها الحمراء، كأنه ينزع ثوب الزفاف، بأصبعيه يشق الفستقة، يفتحها، يخرج اللب الوردي، يضعه بين شفتيه، لن يفتح الباب بالمفتاح، سيقرع الجرس، لتفتح هي الباب، وهي تفتح له الباب سيزقها حبة الفستق، ويقرع الجرس مرتين، ثلاث مرات، وما من مجيب، يضع إصبعه على الجرس ولا يكاد يرفعها، يرمي حبة الفستق، يضع كيس الفستق على الأرض، ما الذي حصل؟ هل وقعت فأغمي عليها؟ هل اقتحم الشقة لص فسرقها أساورها وقتلها؟ كم تمنى لو يسكن في غرفة صغيرة في دار أمه وأبيه، ولكنها أبت إلا أن تسكن في شقة صغيرة مستقلة، وبأصابع قلقة مضطربة، يخرج المفتاح من جيبه، يعالج الباب، يفتحه ويدخل، هل يراها على أرض المطبخ مغمى عليها؟ هل يراها في سريرها والدم ينزف من عنقها؟ هل ثمة لص أو قاتل؟ يستعد لمجابهة أي خطر، ينادي..ينادي.. ينادي..وما من مجيب، يسرع إلى المطبخ، يتناول سكينا، يحكم عليها قبضته، يجد ورقة على المائدة

كتبت عليها: «ذهبت إلى أختي في السابعة، لن أتأخر» يرسل زفرة طويلة، يرمي السكين، ينظر إلى ساعة يده، هي السابعة والربع، يمضي إلى الشرفة، يقعد وحده على كرسي منفرد، المنضدة الصغيرة أمامه خاوية، ولا مسجل ولا صباح فخري، يلقي نظرة على قلعة حلب وعلى المدينة، لا يعرف لماذا الأضواء هذه الليلة قليلة، ثمة عتمة، لا نسمة هواء، حتى عريشة الياسمين لم تتفتح فيها سوى بضع ياسمينات صغيرة، يولي ظهره إلى القلعة، وجهه إلى المطبخ، يحس بالاختناق، يرقب باب الدار، ينتظر إطلالتها عليه، ليزقها حبات الفستق، بعد عشر ساعات، بعد سنة، بعد دهر، يحس بحركة المفتاح في الباب، ينهض، يمد يده في كيس الفستق، تصطدم بقعره، أصابعه تبحث، تلوب، ينظر إلى كومة القشر التي تملأ الصحن على المنضدة الصغيرة... يسرع إليها، تنظر إلى ساعة يدها، تهمس:

**- حبيبي سامحني، لم أتأخر، ساعة، ساعة ونصف فقط، الآن الثامنة والنصف، اعذرني، أنا**

ويضع بين شفتيها الحبة الوحيدة المتبقية من كيس الفستق.